ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهنـــد للروابط الثقـافية

المجلد الخامس مارس سنة ١٩٥٤ العدد الأول

محتويات هـذا العـدد

الموضوع

مها بهارت

﴿ بهيشم يعيش عزبا ﴾

لقد طاب الملك نفسا وطاب دولة إذ سعد بالاتصال بولده ديواورت الشاب المتلألأ الممتلى فتوة وشبابا وسعد بمن يرث عرشه، وقد وضع التاج على رأسه وجعله يلى العهد بعده.

طوى الزمان أربعة أعوام، فحدث أن خرج الملك ذات يوم إلى شواطى جمنا هائما على وجهه شاردا إذ رأى الرياح كأنها امتلئت برائحة مباركة معطرة بغتة تفوح بأحلى وأطيب ما جعله يبحث عن السبب، فتبين أن فتاة عذراء بهية الجمال بديعة الحسن كالهة، هى المنبت للطيب المعطر هبات الرياح وأنها موهبها بارف عليم نعمة أن تطير منها رائحة ذكية وتلك هى التى يشمها الآن وقد نشرت فى الصحراء كل مكان.

كان الملك يعيش عيشة راهب متبتل منذ ما ولت كنكا الالهة عنها مودعة فكان مراقبا حاصرا للرغبات وقائدا حاجزا للأهواء تحت حكمه ولكن النظرة إلى تلك الغادة الحسناء وجمالها اللاهوتى أصعقت من هذا الحصر والحجز فى حياته كل وثاق وأشبعت عروقه هواء ورغبة قد تملكت عليه فالتمس إليها خاطبا فقالت أنا من صيادى الأسماك بنت كبير السماكين فعليك أن تذهب إليه واطلب رضاه فى مبتغاك وكان صوتها كجمالها ألطف وألذ ما تسمعها الآذان.

فقال أبوها وكان فطنا حنكته التجارب يا أيها الملك! ليس هناك من شك أن هذه البنت ككل باكرة من البنات محتوم عليها أن تقترن بأحد بالزواج على

كل حال وأنت أجدر بها وأحرى ولكن هل لك أن تعدنى قبل أن تملكها وعدا؟ أجاب الملك إذا كان ما يدور بخلدك عدلا لا تجدنى عنه منصرفا، فقال السماك الشيخ الخبير أسئلك أيها الملك أن الولد الذى تلده هذه البنت ليكون ملكا بعدك يحكم البلاد. لم يستطع الملك أن يعد ويجيب ما دعاه كبير السماكين على أن الهوى كان قد فعل به ما يفعل الجنون بصاحبه فان فى ذلك ما ينتهى الأمر إلى عزل ديواورت ولد گنگا الالهة المشروع له أن يجلس على عرش الملك بعد الملك ثم إن المساومة فى ذلك لا تخلو من وصمة الندامة والعار.

رجع الملك إلى عاصمته هستناپور شجا بالفشل، جريحا بالخسران ولم يبح بما حزى وما حدث إلى أحد وظل صامتا فى ذبول وانكماش، فكان أن دخل عليه ديواورت يوما من الأيام واستفسره قائلا يا أبت! إن لديك كل ما تشتهى هس لهس فما لى أراك صحرا حزينا كانك تذوق مرارة سر غامض وتتالم بها أشد الألم أجاب الملك: حقا ما تقول يا ولدى العزيز إننى أقاسى هذه الأيام أحرج المواقف من الاصطراب فى شعورى والتشويش فى فكرى، إنك أنت ولدى الوحيد وإنك شعلت همك فى مطامح سامية وأهداف عالية فى الفروسية والحند. والحياة يا ولدى لا تدوم فى الدنيا ولا تستقر والحرب فيها سجال فان حدث لك حادث لا سمح الله به فستنقرض عائلتنا ولا يبقى منها فرد ولا يذر، والدى لا ريب فيه إنك احدا كمائة ولد ولكن الذين يقرءون صحائف دينية يقولون إنه من كان له فى هذا العالم الفانى ولدا فكانه لا ولد له ألبتة فليس من المعقول أن تكون لنة واحدة مدار البيت كله أو أن تعتبر حياة واحدة تكفل استدامة العشيرة بالتمام وفوق كل ذلك أننى أتمنى أن تدوم عائلتى وتبقى مستمرة، هذه الفكرة هى التى تعذبنى يا ولدى ويضيق بها صدرى. ولم يقص الملك القصة على ولده بكاملها إستحياء ولكن ديواورت الولد الذكى أدرك أن

وراء الفكرة سر مكنون، فتحدث إلى سائق المركب الملكى وتبادل به الأحاديث سائلا ومجيبا إلى أن تكشف له إجتماع أبيه بالسماكة الحسناء على شاطئ جمنا فذهب إلى الشيخ الكبير ودعا ابنته من قبل أبيه.

رحب به الشيخ وبجله ولكن بالرزانة والعزم وقال ابنتى هى بالحق أحرى أن تكون قرينة للملك وشريكة حياته فما المانع إذن أن يكون ولدها ملكا بعد أبيه ولكن وضعوا على رأسك التاج كولى عهده فبالطبع أنت الذى تخلفه وهذه هى العقبة فى السبيل.

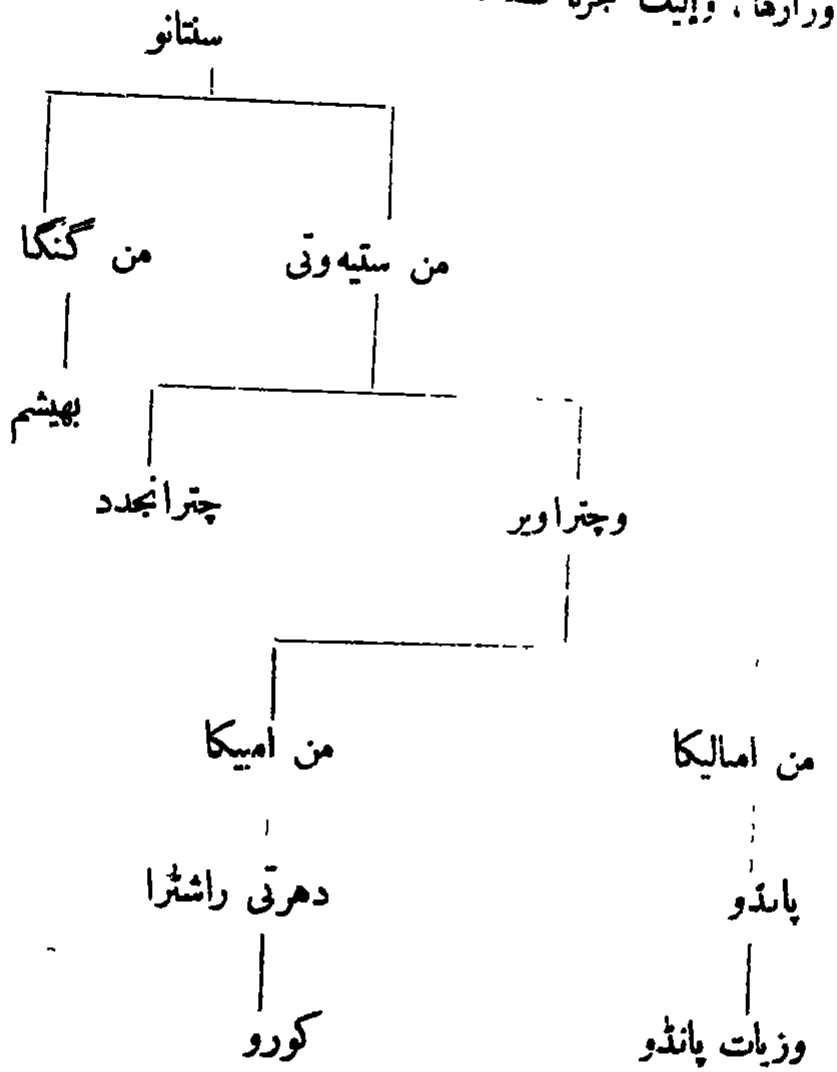
أجاب ديواورت إننى أعدك بكل صراحة أن المولود من بطن هده الحسناء هو الذى يجلس العرش فقال أبوها يا خير ذرية من سلالة بهارت أتيت بما لم يأت به أحد ممن يجرى فى عروقهم دم ملكى حتى حين. وإنك لبطل جليل حقا جدير أن تأخذ نفسك بابنتى إلى أبيك الملك ولكن إليك منى ما أقول كوالد للبنت أرجوك وعيه بالتأنى والافتكار: إنى لا يساورنى شك فى أن تكون كريما مخلصا تفى ما تعد وتفعل ما تقول ولكن الملتبس منك أمر أولادك، فمن لى بردهم عن التنازل عن حق الارث بالولادة، وبالطبع أبناءك سيكونون أبطالا أقوياء مثلك، فلو نهضوا للسيطرة يوما على الحكم قاهرين فالمقاومة لا شك تكون فوق المنال، هذا ما يخالج صدرى ويحرك ارتيابى.

وعندما سمع ديواورت وكان عازما على أن يمهد لرغبات والده السبيل رغم هذا الاقتراح المعقد من الشيخ. أعلن عن تنازله عن العرش كليا وعاهد أمامه على نفسه رافعا ذراعيه أنه يعيش عزبا ما دامت الحياة ولن يتزوج أبدا وأنه وقف أيام حياته على العفاف المتواصل، لم يكد البطل الباسل ينطق بآخر كلمات النذر وقد أمطرت الآلهة الأزهار على رأسه وسمع الناس يهتف الجو بهيشم! بهيشم! ومعنى بهيشم الذى يعاهد أصعب الأمور وأشدها فيوفى ما عاهد

به، وقد اشتهر ديواورت بهذا اللقب منذ ذلك اليوم ثم أتى هو بالغادة الحسناء ستيه‌وتى بنت كبير السماكين إلى أبيه.

ولدت ستيه‌وتى للملك سنتاو ولدين چترانجده و وچتراوير. وقد جلسا على العرش كلاهما واحدا بعد واحد، ثم رزق وچتراوير ولدين دهرتى راشترا وپانڈو من زوجتيه الملكتين: أميكا وأمباليكا على الترتيب، فبلغت أعداد أولاد دهرتى راشترا إلى مائة وعرفهم الناس ب كورو وأما أولاد پانڈو فلم تزد أعدادهم فوق الخمس واشتهروا باسم پانڈو.

عاش بهيشم طويلا مكرما بين أسرته محترما حتى وضعت حرب كوروكشترا الشهيرة أوزارها، وإليك شجرة نسبه:



﴿ امبا و بهيشم ﴾

قتل. «چترانجده» فى حرب مع «گندهرو» ولم يخلف ولدا فانتقل الحكم إلى أخيه وچتراوير الوارث للملك شرعيا وكان حينئذ فى طور الصغر فتولى الحكم بهيشم باسمه حتى يبلغ الحلم.

فعندما كبر وبلغ أشده رأى بهيشم أن يبحث له عن العروس، فما لبث أن بلغه ان بنات ملك كاسى سيخترن لأنفسهن الأزواج حسب التقاليد المرعية فى الطائفة الكهترية منذ أقدم الزمان، فوصل إلى كاسى ليحصل عليهن لأخيه وكان قد حضره من ولاة كوشل وانجا، پنڈر، كالنج وما عدا هؤلاء كان هناك من راجاوات وأنجال الملوك فى أفخر الأزيا وأجمل الملابس للاشتراك فى حفلة سويمبر[1] وقد بلغت سمعة جمال البنات والحكاية عن براعتهن حسا ولطافة إلى أبعد حدود الصيت فأصبحت المنافسة عنيفة بذلك واشتد المسابقون بكل ما لديهم.

وكان من المعروف المشاع عند الطائفة الكهتريه أن بهيشم الطعين الفارس أقدر الرجال سلاحا وأشدهم بأسا وزعموا فى أنفسهم بداية الأمر أنه إنما شهد كاسى ليتفرج على زينات الحفلة ومناظرها البهية ويتمتع بالأفراح والمسرات فيها، ولكن عندما بدأ لهم أنه كذلك من أحد الفرسان المسابقين استيئس الأنجال من الشبان وظلوا يشعرون بالفضاحة هما وحزنا. ولم يدر أحد أنه لم يحضر إلا ليقضى حاجة لأخيه وچتراوير.

فأخذوا يعيرونه قائلين أن هذا البطل النبيل الخبير، أفخر سلالة الهند قد نسى أنه طاعن فى سنه ولعل الأيام كذلك أنسته أنه عاهد على نفسه أن يعيش عزبا، فما له وهذه الحفلة؟ يا للشناعة والعار، وأما البنات فيرمقن إلى الشيخ ويصرفن وجوههن مختطفات إليه انظارهن.

---

[1] — الاحتفال الذى تختار فيه البكر بعلها من بين الفتيان.

التهب بهيشم بذلك غضبا وتحدى الأنجال الشبان الحاشدين حيال الحفلة بالمباراة فى اختبار الرجولة فغالبهم جميعا وأخذ بالبنات الثلاث إلى مركبه وانطلق فى سبيله راجعا إلى هستناپور. ولما يتجاوز بعيدا إذ اعترض طريقه سالوا ملك سوبالا بما كانت بينه وبين أمبا من صلة وبما أنها اختارته زوجا لها من صميم الفؤاد. فوقعت بينهما حرب شديدة إنتهت بانهزام سالوا ولا عجب فان بهيشم كان نبالا حدقا ولم يكن من يدانيه فى الرماية، ولو لم تتوسل بنات الملك لفقد سالوا يومئذ حياته.

عاد بهيشم إلى هستناپور بالكريمات، وأعد لزواجهن بأخيه وچتراوير عدة وعددا. فلما احتفلوا خاطبت أمبا بهيشم ضاحكة عليه بالازدراء قائلة يا ابن گنگا! إنك تعلم ما فى الصحف المقدسة وأنا اخترت سالوا ملك سوبالا كبعلى من كل قلبى ولكنك أتيت بى هناك على كره منى وقهرا منك، فليكن عملك وفق ما تأمرك به الصحف.

وافق بهيشم بما قالت فأرسلها إلى سالوا تحت حراسة من عنده تضمن لها الصيانة عن كل مكروه ثم زوج أختين الفتاتين أمبكا وأمباليكا بوچتراوير بالأبهة الفخيمة والجلال الملكى.

وصلت أمبا إلى سالوا وهى طروب وفرحان وقصت عليه ما وقع ثم قالت أنا أحببتك من أعماق نفسى لتكون زوجى كما تعلم وقد أرسلنى إليك بهيشم لتتزوج بى وفق أوامر الدين (شاستر) فرد إليها سالوا أن بهيشم هزمنى على ملأ من الناس، وذهب بك معه منتهكا حرمتى وعابثا بكرامتى فلن أرضى بك زوجة لى، ارجعى إليه وافعلى ما يأمرك فعادت إلى هستناپور أخرى وأخبرت بهيشم بماسنح لها، فاستمال بهيشم وچتراوير وحثه على أن يتزوج بها ولكنه رفض الاقتراح بتاتا وأبى أن يرضى بفتاة تحب غيره.

فالتفتت أمبا بعد ذلك إلى بهيشم والتمست إليه متضرعة أن يزوجها هو نفسه إذ لا ترى دون ذلك مخرجا من المأزق ولكن بهيشم لم يكن يستطيع أن ينقض عهده فتأسف عليها ورق لحالها، فحاول ثانيا أن يرد وچتراوير عن رأيه، ولم تثمر محاولته بالنجاح، فقال لها إنه ليس لك إلا أن تعودى إلى سالوا كرة أخرى واحملى إياه على أن يرضى بك فلم تفعل ذلك ترفعا وانفة، ومكثت عدة أعوام فى هستناپور ثم ذهبت إلى سالوا نهاية الأمر بعد ما انقطع الأمل كليا ولكنها وجدته كما كان.

إمتدت الأيام بـ أمبا الحزينة ستة أعوام وهى تكابد مرير الحياة وتعانى عذاب الحسرة والياس فانكمشت بذلك زهرة فوادها وذبلت وتحولت منها كل عذوبتها حقدا هائلا على بهيشم الذى قاده إلى هذه الحياة التعسة القاتمة، فتفكرت أن تحث فارسا من الأنجال أن يحارب بهيشم فيقتله وبذلك تنتقم منه على ما اكتسبت يداها، ولكنها رأت فكرة فارغة لم تنفعها فلم يكن يستطيع ولا كبير من أكابر المحاربين أن يعارض بهيشم مهابة منه فقد ذهبت كلمتها غير مسموعة ولم يلتفت إليها منهم أحد، وانتهى بها الأمر إلى أن قامت بالرياضات الشاقة سائلة فضل سبرامنى الذى مثل أمامها رحمة بها وأعطاها من أزهار لوتس أكليلا لا يزال نضيرا وقال إنه من كان فى رقبته هذا الضفير ينقلب عدوا لدودا لبهيشم.

أخذت أمبا ذلك الاكليل وذهبت تستدعى كل كهترى أن يقبله توجعا بها ولكنها لم تجد من يستقبل عداء بهيشم، ثم دخلت على راجه «دريد» مستنجدة ولكنه كذلك أبى يجيب نداها فعلقت أمبا ذلك الاكليل على درب القصر الملكى ومشت فى سبيلها إلى الصحراء، فصادفت هناك بعض الناسكين والزهاد المتقشفين الذين أسردت عليهم ألميتها فنصحوا لها أن تذهب إلى پرسرام، هو يحميها، ففعلت.

استمع پرسرام إلى قصتها وما دار بها وأخذته الرأفة والحنان فسئلها قائلا

«إذن ما ذا تريدين يا عزيزتى! هل أقول لسالوا أن يرضى بك زواجاً؟ أجابت أمبا انما الآن فلا أريد ذلك، لا أريد زواجى ولا أريد لى مركزاً ولا أريد حلاوة الحياة ولا سعادتها، فلم يبق لى فى حياتى بعد الا عمل واحد وهو الانتقام من بهيشم، فالمنحة الوحيدة التى اتماها أن تمن بها على هى موت بهيشم ليس إلا.

تأثر پرسرام بآلام أمبا بقدر ما تحرك بدافع الاحتقار المستقر فى داخله بالطائفة الكهترية ودريتها فأعلن الحرب ضد بهيشم مساعدا أمبا فيما تطمح إليه، وطال هذا القتال طويلا سويا بين بطلين كبيرين فى عهدهما، ولكن نهاية الأمر تنازل پرسرام واعترف بانهزامه، فأسر إلى أمبا أنه سعى جهد المستطاع وفعل بكل ما كان يسعه ولكنه أخفق فى مسعاه فليس لها إلا أن تكون طوع يد بهيشم.

أما الملآنة حقدا وحنقا، والمعمورة هما وكآبة، والعائشة حياتها برزق من نزعات الثأر وعول من الانتقام، قامت، واتجهت نحو جبال هملايا، وهناك ألقت بنفسها فى الأعمال العميقة الصارمة من الرياضة، ليرضى بها الاله شيو، حيث لم تمنعها إعانات بشرية حتى حين، فتمثل شيوا أمامها، ووهب لها أنها تقتل بهيشم فى ولادتها الآتية

ما أحرصت أمبا على تلك الولادة التى تمنح لها بغيتها، وما أسرعت إليها. فقد وشت كومة الحطب واشعلتها، ثم ألقت بنفسها فى النار، ولعل لهيب فؤادها الناقم كان أشد حرا من النار المضطرم لحريق جثتها.

ولدت أمبا فى حياتها الثانية بنتا للملك دريد عونا من شيو، وانقضت على ذلك بضعة أعوام. فوجدت إكليل الأزهار دائمة النضير كذلك معلقا على درب القصر الملكى لا يمسه أحد ولا يقربه مخافة شره، فأخذته أمبا وطوقت به جيدها. فأصبح أبوها بما فعلت خائفا وأخرجها من عاصمته لئلا يغضب عليه بهيشم، فظلت أمبا مشتغلة بالرياضة فى الصحراء حقبة من الزمان فاستحالت

رجلا واشتهرت بين الناس بـ سكهان دن البطل المحارب.

هجم أرجن على بهيشم فى ميدان حرب كوروكشتر وكان سكهان دن يسوق عربته، وكان بهيشم على علم بأن أمبا تولدت أنثى فلا يسمح له دستور الفروسية والبطولة أن يحاربها مهما كانت الظروف، فتيسر بذلك لأرجن أن يحارب بهيشم من وراء سكهان دن فغالبه، على أن بهيشم كان يعلم أن أجله الطويل التعب على الأرض قد انتهى فرضى بالانتصار عليه وعندما أخرج بهيشم من جثمانه من النبال المصيبة فى وقعته الأخيرة نبلة بلغت أقصى العمق قال «هذه من أرجن وليس من سكهان دن».